رأي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
في معاوية والأمويين

رسالة عني بنشرها، وصححها، وكتب هوامشها
وترجم لمؤلفها

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

جب الفرد سنة ١٣٦٥هـ — يونيه سنة ١٩٤٦م

www.alkottob.com

اهـداء الرسالة :

لسيادة — نجل حفيـــد خاتم النبيين ، واشرف المرسلين ، فرع الدوحة الهاشمية المباركة ، الامام العادل يحيى بن حميد الدين — صاحب السمو الملكى الأمير المعظم سيف الاسلام عبد الله .

سيدى

هذه الرسالة خطت فى القرن الثالث للهجرة النبوية بقلم زعيم من زعماء كتاب العصر العباسى وادبائه وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . كتبها الى احد ابناء عمومتكم من الامراء العباسيين . قد اعتزمت نشرها ورأيت من شرف المكانة لهـا ان تتوج باسم سموكم الـكريم ، راجياً أن تنال الرضى والقبول ؟

الناشر

عزت العطار الحسينى

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر :

لا إله الا الله الحليم الكريم ، سبحانه وتعالى رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد :

لم يكن قصدى من نشر هذه الرسالة — التى عثرت عليها فى ضمن مجموعة من المخطوطات القديمة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة المفيدة بفن التاريخ تحت رقم ٢٨٥٥ — ان اثير جدلا مذهبياً ، وتعصباً طائفيا مضت عليه قرون عديدة ، وكان سبباً من الاسباب التى أدت إلى تشعب المسلمين ، وتفرق كلمتهم فاحدثت بينهم جدلا لاتزال آثاره عالقه بأذهان بعض الناس إلى الآن ، ولسنا بصدد بيان المصيب والمخطىء فى المتسبب فى تلك الفتن فهذا موكول أمره والحكم فيه الى علام الغيوب واحكم الحاكمين .

www.alkottob.com

ولكن الذى دعانى إلى نشرها هو مكانة ناثرها العلمية والادبية ، فانه احد زعماء البيان العربى ، ومن شيوخ المعتزلة ورؤسائهم . لنعطى القارىء صورة حقيقية عن الكتابة والنثر فى ذلك العصر الذهبى للامة العربية . عصر العلوم والمعارف . عصر الخليفتين هارون ، والمأمون . عصر الحضارة العربية التى كانت بلغت الذروة القصوى من المجد ، والفخر ، والسؤدد لاسيما وان كاتبها من المنتجين الذين اربت مؤلفاتهم على المائة والستين فى مختلف العلوم والفنون .

لهذا ولما توخيته من القصد الحسن من نشر هذه الرسالة نذكر للقراء الكرام بعض ماقاله المؤرخون والعلماء فى مقدرة الجاحظ العلمية من اقوال المعجبين به من أقوال المعجبين به ومن أقول خصومه

الجاحظ : هو عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلى صاحب المنزلة العالية عند أهل الأدب . كان ابن حزم يثق بنقله توفى سنة ٢٥٦ هـ .

www.alkottob.com

قال أبو الحسين الملطى : كان الجاحظ صاحب تصانيف ولم يكن صاحب جدل

عاصر الجاحظ ثلاثة ممن اشتهروا بالتأليف وهم :

أبو الحسن على بن المدائنى صاحب المؤلفات المشهورة : روى الجاحظ عنه فى كتابيه البيان . والحيوان روايات كثيرة . وأبى عبيدة معمر بن المثنى الذى قال عنه صاحب الوفيات : ان مؤلفاته تقارب مأتى مصنف ، وقال عنه الجاحظ فى كتابه البيان : لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى اعلم من ابى عبيدة بجمع العلوم . والثالث : العلامة الاديب هشام بن محمد الكلبى الكوفى الذى له ماية وتسعة وثلاثون مؤلفاً .

قال ياقوت : وحسبك بها فضيلة لابى عثمان الجاحظ أن يكون مثل ابن الاخشيد وهو من هو فى معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رءوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام .

وقال المسعودى وهو من خصوم الجاحظ : وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوا أصداء . الاذهان، وتكشف

www.alkottob.com

بواضح البرهان لانه نظمها احسن نظم ، ورصفها احسن رصف ، وكساها كلامه اجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارىء ، وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة ثم قال : ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر من الجاحظ كتباً .

وذكر صاحب وفيات الاعيان : ان أبا القاسم السيرافى قال : حضرنا مجلس الاستاذ ابى الفضل بن العميد فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به ، وسكت الوزير عنه . فلما خرج الرجل قلت له : سكت ايها الأستاذ عن هذا الرجل فى قوله ما عهدتك فى الرد على امثاله تتوانى ؟ فقال : لم اجد فى مقابلته أبلغ من تركه على جهله ، ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انساناً . يا أبا القاسم . فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والادب ثانيا ولم استصلحه لذلك .

وقال أبو المظفر الاسفرايني فى كتابه التبصير فى الدين : عمرو بن بحر الجاحظ ، وقد اغتر اصحابه بحسن بيانه فى

www.alkottob.com

تصانيفه ولو عرفوا ضلالته وما احدثه في الدين من بدعة لكانوا يستغفرون عن مدحه ، ويستنكفون عن الانتساب إلى مثله فمن بدعه قوله ان الله تعالى لا يدخل احداً النار ولكن النار بطبعها تجذب أهلها ثم تسكنهم في جوفها خالداً مخلداً وقال عن الجنة نفس قوله عن النار . فابطل بهذا القول ، الرغبة والرهبة ، والثواب، والعقاب من الله تعالى وقد افتخر به الكعبي وعده من مشايخ المعتزلة .

وذكر ابو الفداء في حوادث سنة ٢٥٥هـ فقال : وفي محرم هذه السنة توفي أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف المشهورة وكان كثير الهزل وخالط الخلفاء ونادمهم أخذ العلم عن المتكلمين وكان الجاحظ قد تعلق بأسباب ابن الزيات فلما قتل ابن الزيات قيد الجاحظ وسجن ثم اطلق .

قال الجاحظ : ذكرت للمتوكل لتعليم ولده فلما مثلت بين يديه بسامرا استبشع منظري فامر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني . وصنف الجاحظ كتباً كثيرة ، منها كتاب البيان والتبيين جمع فيه بين المنثور والمنظوم . وكتاب الحيوان .

www.alkottob.com

وكتاب الغلمان ، وكتاب الفرق الاسلامية وكان جاحظ العينين كاسمه .

قال المبرد : دخلت على الجاحظ فى مرضه فقلت كيف أنت ؟ فقال كيف يكون من نصفه مفلوج لو نشر ما أحس به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب به آلمه وقد جاوز التسعين ثم أنشد :

اترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

وقد روى أن موته كان بوقوع مجلدات العلم عليه . وكان من عادته أن يضعها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس اليها وكان عليلا فسقطت عليه فقتلته .

هذا ملخص وجيز لحياة هذا العالم الفذ وإذا اردت أن ابين حياته العلمية والأدبية وأستوعب ماقاله العلماء عنه لاحتاج إلى تصنيف كبير لاتتسع له هذه الرسالة والله سبحانه وتعالى حسبي ونعم الوكيل .

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ :

أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك وكرامته لك : اعلم ارشد الله أمرك ان هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها والخروج من جاهليتها الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة .

فالطبقة الأولى : عصر النبي ﷺ ، وابى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه كانوا على التوحيد الصحيح ، والاخلاص المحض مع الألفة ، واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولابدعة فاحشة ، ولانزع يد من طاعة ، ولاحسد ، ولا غل ، ولاتأول حتى كان الذى كان من قتل [1] عثمان رضى الله عنه ،

---

(١) قتل رضى الله عنه يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣٦ هـ .

www.alkottob.com

وما انتهك منه ، ومن خبطهم اياه بالسلاح . وبعج بنطه بالحراب ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط ، ونهيه عن الامتناع مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة ، وصلى الى القبلة ، وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نسائه بحضرته ، واقتحام الرجال على حرمته ، مع اتقاء نائلة بنت[1] القرافصة عنه بيدها حتى أطنّوا[2] اصبعين من أصابعها . وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعاً لهم ، وكاسراً من غربهم ، مع وطئهم فى أضلاعه بعد موته ، والقائهم على المزبلة جسده مجرداً بعد سحبه . وهى الجزرة التى جعلها رسول الله ﷺ كفؤا لبناته ، وايامأه ، وعقائله. بعدالسب والتعطيش ، والحصر الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم ، والحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلامن

---

(١) هى زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت نصرانية

(٢) أى قطعوا .

www.alkottob.com

ارتد بعد اسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل مؤمناً على عمد ، أو رجل عدا على الناس بسيفه . فكان فى امتناعهم منه عطبة ، ومع اجتماعهم على أن لا يقتل من هذه الامة مول ، ولا يجهز على جريح ثم مع ذلك كله ذفروا عليه وعلى ازواجه وحرمه وهو جالس فى محرابه ومصحفه يلوح فى حجره لمن يرى أن موحداً يقدم على قتل من كان فى مثل صفته وحاله .

لاجرم لقد احتلبوا به دما لا تطيب رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت ثائره ، ولا يكل طالبه . وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له ! وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام على غليانه ، وقتل ساحقه ، وأدرك بطائلته ، وبلغ كل محبته كدمه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم فى أخذه ، وفى اقامته للناس والاقتصاص منه ، وفى بيع ما ظهر من رباعه ، وحدائقه وسائر امواله ، وفى حبسه بما بقى عليه ، وفى طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين ، والسلف المتقدمين ،

www.alkottob.com

والانصار والتابعين [1] ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ومراتب متباينة. من قاتل، ومن شاد على عضده، ومن خاذل له قاعد عن نصرته، والعـاجز ناصر بارادته. ومطيع بحسن نيته، وإنما الشك منافيه وفى خاذله ومن اراد عزله والاستبدال به

فاما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه فضلال لاشك فيهم، ومراق لا امتراء فى حكمهم. على أن هذا لم يعد منهم الفجور اما على سوء تأويل، واما على تعمد للشقاء، ثم مازالت الفتن متصلة. والحروب مترادفة كحرب الجمل، وكوقائع صفين [2] وكيوم النهروان. وقبل ذلك يوم الزابوقة،

---

(١) قال الجاحظ ان يذكر دفاع امير المؤمنين الأمام على كرم الله وجهه وارساله ولديه سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين للدفاع عنه والوقوف فى بابه حتى أثخنا بالجراح

(٢) صفين موضع على الفرات من الجانب الغربى بطرف الشام مقابل قلعة نجم كانت فيها الوقعة المشهورة بين الأمام على ومعاوية.

www.alkottob.com

وفيه اسر ابن حنيف ، وقتل حكيم بن جبلة إلى أن قتل اشقاها على[1] بن ابى طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة واوجب لقاتله النار واللعنة ، إلى ما كان من اعتزل الحسن عليه السلام الحروب ، وتخليه الامور عند انتشار اصحابه ، وما راى من الخلل فى عسكره ، وما عرف من اختلافهم على ابيه ، وكثرة تلونهم عليه . فعندها استوى معاويه على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين فى العام الذى سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة بل عام فرقة وقهر ، وجبرية ، وغلبة ، والعام الذى تحولت فيه الامامة ملكا كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً ، ولم يعد ذلك اجمع الضلال والفسق ، ثم ما زالت معاصيه من جنس ماحكينا ، وعلى منازل مارتبنا حتى رد قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً فى ولد

---

(١) قتله الملعون عبد الرحمن بن ملجم المرادى غيلة فى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ .

www.alkottob.com

الفراش[1]، وما يجب للعاهر مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لابي سفيان فراشاً وانه إنما كان بها عاهراً فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل حجر بن عدى[2]، واطعام

---

(١) الحديث : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

(٢) هو : حجر بن عدى بن معاوية الكندى وهو المعروف بحجر الخير وفد على النبي ﷺ هو واخوه هانىء ابن عدى فكان من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين. كان حجر من اصحاب على بن ابى طالب كرم الله وجهه وامرائه على جنده فقد ولاه امارة كنده ، وحضر موت ، ومهرة ، وقضاعة يوم صفين وجعله على الميمنة يوم النهروان وحضر وقعة الجمل . وكان حديث قتله صبراً ما ملخصه : لما ولى زياد ابن ابيه العراق وأظهر من الغلظة وسوء السيرة حدثت مرة ان زياد اطال فى الخطبة فقال له حجر : الصلاة . فمضى زياد فى الخطبة فحصبه حجر وناس من اصحابه بالحجارة حتى نزل فكتب زياد الى معاوية واخبره بما يلقاه من حجر واصحابه

www.alkottob.com

عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفيء، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الاحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء فى باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب، ورد السنة إذ كانت السنة فى شهرة الكتاب وظهوره إلا ان احدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الامة. ثم لم تكن إلا فيمن يدعى امامتها، والخلافة عليها على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره.

فكتب اليه معاوية ان ارسله الى هو واصحابه فبعث بهم مع وائل بن حجر الحضرمى فلما اشرفوا على مرج عذراء وهى قرية عند دمشق أمر معاوية بقتلهم. فشفع اصحابه فى بعضهم فشفعهم ثم قتل حجر وستة من اصحابه، ولما ارادوا قتله صلى ركعتين ثم قال: لولا أن تظنوا بى غير الذى بى لاطلتهما وقال: لاتنزعوا عنى حديداً، ولاتغسلوا عنى دماً فانى ملاق معاوية على الجادة وانى مخاصم.

www.alkottob.com

وقد اربت عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا فقالت : لاتسبوه فان له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة . فزعمت أن من السنة ترك البرآة ممن جحد السنة . ثم الذى كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نصرته ثم غزو مكة ، ورمى الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام فى أكثر أهل بيته مصابيح الظلام . واوتاد الاسلام بعد الذى اعطى من نفسه من تفريق اتباعه والرجوع إلى داره وحرمه أو الذهاب فى الأرض حتى لايحس به ، أو المقام حيث أمر به ، فابوا إلا قتاله والنزول على حكمهم . وسواء قتل نفسه بيده أو اسلمها إلى عدوه وخير فيها من لا يبرد غليله الا بشرب دمه .

فاحسبوا قتله ليس بكفر ، واباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة كيف تقولون فى رمى الكعبة ، وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين ؟ فان قلتم ليس ذلك ارادوا بل إنما ارادوا المتحرز به ، والمتحصن بحيطانه فما كان فى حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه إلى أن يعطى بيده . وأى شىء بقى من رجل

www.alkottob.com

قد اخذت عليه الارض إلا موضع قدمه ؟ واحسب ماروا عليه من الاشعار التى قولها شرك ، والتمثل بها كفر شيئا مصنوعا . كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنتى الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله ﷺ حواسر على الاقتاب العارية ، والابل الصعاب ، والكشف عن عورة على بن الحسين عند الشك فيه فى بلوغه على انهم ان وجدوه وقد انبت قتلوه ، وان لم يكن انبت حملوه كما يصنع امير جيش المسلمين بذرارى المشركين . وكيف تقول فى قول عبيد الله ابن زياد لاخوته وخاصته دعونى اقتله فانه بقية هذا النسل . فاحسم به هذا القرن ، واميت به هذا الداء ، واقطع به هذه المادة !

خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا انفسهم بقتلهم ، ونالوا ما احبوا فيهم ! اتدل على نصب وسوء رأى ، وحقد ، وبغضاء ، ونفاق وعلى يقين مدخول وايمان مخروج ؟ أم تدل على الاخلاص ، وعلى حب النبى ﷺ ، والحفظ له ! وعلى براءة الساحة ، وصحة السريرة ؟ فان كان على ما وصفنا لايعدو الفسق والضلال وذلك ادنى منازله

www.alkottob.com

فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن لعن الملعون فملعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة . وان كانوا يأخذون السمى بالسمى، والولى بالولى ، والقريب بالقريب، واخافوا الاولياء ، وامنوا الاعداء، وحكموا بالشفاعة والهوى واظهار القدرة والتهاون بالامة ، والقمع للرعيـــة ، وأنهم فى غير مداراة ولاتقية ، وانه عدا ذلك الى الكفر وجواز الضلال إلى الجحد فذلك اضل ممن كف عن شتمهم ، والبراءة منهم .

على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالسنة بالقتل كمن استحقه برد السنة ، وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر كمن استحقه بالتجريد والنابتة فى هذا الوجه أكفر من يزيد وابيه ، وابن زياد ، وابيـه ولو ثبت ايضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى :

ليت اشياخى ببـدر شهدوا جذع الخزرج من وقع الاسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لاتسل

www.alkottob.com

قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجويز النابتي لربه وتشبيهه بخلقه اعظم من ذلك ، واقطع على انهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا متعمداً أو متأولا . فاذا كان القاتل سلطانا جائراً ، أو اميراً عاصيا ، لم يستحلوا سبه ، ولا خلعه ، ولا نفيه ، ولا عيبه . وإن اخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، واجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمور ، وأظهر الفجور ، ثم مازال الناس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة . ويشاركونهم مرة ، الا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره . حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وعاملهما الحجاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن ابي مسلم فاعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالغزو . فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرمة ، وحولوا قبلة واسط ، وأخروا صلاة الجمعة الى مغربان الشمس .

فان قال رجل لاحدهم اتق الله فقد اخرت الصلاة عن وقتها قتله على هذا القول جهاراً غير ختل ، وعلانية غير سر

www.alkottob.com

ولا يعلم على ذلك الا أقبح من انكاره فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر باعظم منه . وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ بعض الجبابرة ، وخوفه العواقب وأراه ان فى الناس بقية ينهون عن الفساد فى الأرض حتى قام عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه .

فاحسب تحويل القبلة كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب ماروووا من كل وجه انهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء فى أهله ارفع عنده من رسوله اليهم باطلا ومسموعا مولدا ، واحسب وشم ايدى المسلمين ، ونقش ايدى المسلمات وردهم بعد الهجرة إلى قراهم . وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون كفراً ، كيف تقول فى جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس اعالى الجدران كالملأ المعصفر ؟ ! فان نطق مسلم خبط بالسيف ، واخذته العمد ، وشك بالرماح ، وان قال قائل : اتق الله اخذته العزة بالاثم ثم لم يرض إلا بنثر

www.alkottob.com

دماغه على صدره ، و بصلبه حيث تراه عياله .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا فى طريق التمرد على الله عز وجل، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق أكل امرائهم الطعام ، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم . فعل ذلك حسن بن دجلة ، وطارف مولى عثمان ، والحجاج وغيرهم ذلك ان كان كفر كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض دهرنا لان جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس فى القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة اخرى كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصى ، ولم يكن احد يقول ان الله يعذب الابناء ليغيظ الاباء ، وإن الكفر والايمان مخلوقان فى الانسان مثل العمى والبصر .

وكانت طائفة تقول ان الله يرى لاتزيد على ذلك فان خافت ان يظن بها التشبيه قالت بلى كيف يتقزز[1] أمن

---

(١) التقزز التنطس والتباعد من الدنس .

www.alkottob.com

التجسيم والتصوير حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة فقالت جسما وجعلت له صورة وحداً ، وكفّرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ، ثم زعم أكثرهم ان كلام الله حسن ، وبين ، وحجة ، وبرهان . وان التوراة غير الزبور ، والزبور غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وان الله تولى تأليفه وجعله برهانه على صدق رسوله . وانه لو شاء ان يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبداه بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخة ، وانه انزله تنزيلا . وانه فصله تفصيلا ، وانه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه الا هو . غير ان الله مع ذلك لم يخلقه فاعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق .

والعجب ان الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه فاذا قالوا خلق كذا وكذا ولذلك قال : « أحسن الخالقين » . وقال : « وتخلقون[1] إفكا » . وقال : « وإذا تخلق من الطين كهيئة

---

(١) سورة المؤمنون .

www.alkottob.com

الطير[1]» . فقالوا : صنعه ، وجعله ، وقدره ، وانزله ، وفصله ، واحدثه ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه اكثر من قدره ولو قالوا بدل قولهم قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم الا من وجه واحد . والعجب ان الذى منعه بزعمه ان يزعم انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه وهو يعلم انه لم يسمع أيضا عن سلفه انه ليس بمخلوق وليس ذلك بهم ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام .

ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين وجب ان الله عز وجل لكلامه غير خالق إذ كنا غير خالقين لكلامنا فانما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا وان لم يقروا بذلك بالسنتهم فذلك معناهم وقصدهم ، وقد كانت هذه الأمة لاتجاوز معاصيها الاثم

---

(١) سورة الصافات .

www.alkottob.com

والضلال الا ما حكيت لك عن بنى امية ، وبنى مروان وعمالهم من لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوابت ، وتابعتها هذه العوام فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو : التشبيه ، والجبر . فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الاعمال التى هى الفسق وشركاء من كفر منهم بتوليهم وترك اكفارهم قال الله عز من قائل : « ومن[1] يتولهم منكم فانه منهم » .

وارجو ان يكون الله اغاث المحقين ورحمهم ، وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم حتى صاروا ولاة امرنا فى هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد اشد استبصارا فى التشبيه من عليتنا . وأعلم بما يلزم فيه منا ، واكشف للقناع من رؤسائنا وصادفوا الناس وقد انتظموا معانى الفساد اجمع ، وبلغوا غايات البدع ثم قرنوا بذلك العصبية التى هلك بها عالم بعد عالم ، العصبية لاتبقى دينا الا افسدته ، ولادنيا الا اهلكتها وهى ما أصار اليه العجم من مذهب الشعوبية ، وما قد أصار

---

(١) سورة المائدة

www.alkottob.com

اليه الموالى من الفخر على العجم والعرب .

وقد نجمت من الموالى ناجمة ، ونبتت منهم نابتة تزعم ان المولى بولائه قد صار عربيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمة كلحمة النسب لايباع ولايوهب » . قال فقد علمنا ان العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا اشرف من العرب ، ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب اشرف منهم قالوا : فنحن معاشر الموالى بقديمنا فى العجم اشرف من العرب ، وبالحديث الذى صار لنا فى العرب اشرف من العجم . وللعرب الحديث دون القديم وللعجم القديم دون الحديث ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا وصاحب الخصلتين افضل من صاحب الخصلة . وقد جعل الله المولى بعد ان كان عجميا عربيا بولائه كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه وبعد ان جعل اسماعيل وكان اعجميا عربيا ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اسماعيل كان عربيا » . ما كان عندنا الا اعجميا لان العجمى لايصير عربيا كما ان العربى لايصير عجميا فانما علمنا

www.alkottob.com

ان اسماعيل صيره الله عربيا بعد ان كان عجميا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان اسماعيل كان عربيا » فكذلك حكم قوله : « مولى القوم منهم » وقوله : « الولاء لحمة » .

قالوا وقد جعل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا لمن لم يلد كما جعله ابا لمن ولد ، وجعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين ولم يلدن منهم احدا ، وجعل الجار والد من لم يلد فى قول غير هذا كثير قد اتينا عليه فى موضعه وليس ادعى الى الفساد ولا اجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها فخور « الا قليل » وأى شيء اغيظ من ان يكون عبدك يزعم انه اشرف منك وهو مقر بانه صار شريفا بعتقك اياه .

وقد كتبت مد الله فى عمرك كتبا فى مفاخرة قحطان ، وفى تفضيل عدنان ، وفى رد الموالى الى مكانهم فى الفضل والنقص والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف وارجو ان يكون عدلا بينهم ، وداعية الى صلاحهم ومنبهة عليهم ولهم . وقد اردت ان ارسل بالجزء الأول اليك ثم

www.alkottob.com

رأيت ألا يكون الا بعد استئذانك واستشارك والانتهاء في ذلك الى رغبتك فرأيك فيه موفق ان شاء عز وجل وبه الثقه

﴿ انتهت الرسالة ﴾

www.alkottob.com

المختار من مطبوعات

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

تطلب من مكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز تليفون ٤٣١٤٨

ومن مكتبة المثنى في بغداد لصاحبها الاستاذ السيد قاسم الرجب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الصادح والباغم	ابن الهبارية
يتيمة الدهر	للوزير السيد أبي الحسين بن احمد ابن الحسن بن علي رضي الله عنه
الاكتساب في الرزق المستطاب	الامام محمد بن الحسن الشيباني
لمتشابه في نظم النثر وحل الشعر	السيد عزت العطار الحسيني
الرسول العربي محمد بن عبد الله	» » » »
كشف اسرار الباطنية	محمد بن مالك الحمادي اليماني

www.alkottob.com

اللمعة	الامام ابراهيم الحلبي المذارى
التبصير	الامام الاسفرينى
الاحكام	الامام القرافى
مناظرات فى الادب	لابن نباتة والمباردينى واليمانى
النبذ	الامام ابن حزم الأندلسى
قانون التأويل	للامام الغزالى
الثمرة البهية فى الصحابة البدرية	الشيخ سالم الحفنى
الانتصار والترجيح	يوسف بن فرغل
العزلة	الامام الخطابى البستى
اصلاح خطا المحدّثين	» » »
الفروسية	الامام ابن قيم الجوزية
تأنيب الخطيب	الامام محمد زاهد الكوثرى
احاديث الموطأ	الدارقطنى
كشف المغطى فى فضل الموطا	ابن عساكر

www.alkottob.com

السيد عزت العطار الحسيني

www.alkottob.com